حسين مهنّا

هذا العالم ليس بريئاً

شعر

حسين مهنا

هذا العالم
ليس بريئاً

حقوق الطبع محفوظة
مطبعة « الحقيقة» - كفرياسيف ٠٤-٩٥٦٤٩٢٢
٢٠١٤

لا..لَسْتُ حزيناً...ولكنْ..!؟

(الى القائد الرّائد نمر مرقس)

يَمُرّ على وَجْهيَ العابِرونَ-أنا الصَّابِرَ الأُمَمِيَّ-
أشُدُّ خُطايَ
لَعَلِّي أُماشي الزَّمانَ الهَجينَ
فَلا القَلْبُ يُسْعِفُ،
أَو قَدَمايَ

ولا النَّفْسُ تَرْضى رُكوبَ الهَوانِ

لِتَلْحَقَ رَكْباً هُوَ المُمْتَطى.

*

لَكَمْ كانَ يَخْبو لَهيبُ الفُؤَادِ

لِيُبْعَثَ ناراً

تُحَرِّكُ صَمْتَ الجُموعِ

وَلَيسَ أمامي سِوى ثَقْبِ إبْرَةِ ذاكَ الزَّمانِ البَخيلِ

لِأعْبُرَ من سَفْسَطاتِ الكَلامِ

الى ثَورَةِ العَقْلِ..

والفِعْلِ،

أحْمِلُ حُبِّي الأَثيرَ

لِدَرْبِ الكِفاحِ الطَّويلِ

وِرِفْقَةِ دَرْبٍ

يَمُدُّونَ أكتافَهُمْ سُلَّماً لِلسَّماءِ

ولا يُؤْمِنونَ بِغَيرِ هَديرِ الجُموعِ هُدَىً ضابِطا.

*

أميناً على العَهْدِ أبْقى..

أسيرُ..وهذي المَسافاتُ تَأْكُلُ لَحْمي

فَما هُنْتُ

أَو كُنْتُ مُسْتَسْلِماً قانِطَا.

*

أَموتُ..

وَعَيناىَ شاخِصَتانِ الى شارعِ الرَّفْضِ-

روحي الى طَلَّةِ الشَّمْسِ تَهْفو

وَجُرْحي يُنادي:

دَعوا بَسْمَتي فَوقَ وَجْهي

لَعَلِّي أعودُ مَعَ الفَجْرِ

يومَ انْتِصارِ الجِياعِ

وَيَوْمَ يكونُ هَديرُ الجُموعِ،
لِبُعْدِ المَسافاتِ زاخِراً ساخِطا.

*

أموتُ....!؟
دَعُوا بَسْمَتي فَوقَ وَجْهي.....

(البقيعة/الجليل/١٤/١/٢٠٠٨)

من حِضنِ حوريّةَ
إلى ذراعَيّ مينرفا*

.. لم يمتْ أحدٌ تماماً،

تلكَ أرواحٌ تُغيِّرُ شَكْلَها ومُقامَها..

محمود درويش

الجداريّة طبعة دار الرّيس ص ٥٢

وردٌ على جَدَثٍ ..

وتلك بدايةٌ أخرى

لمنْ بدأَ الكلامَ مع اليمامِ ،

هديلَ فاختةٍ تُوَرِّثُ حُزنَها اليوميَّ

والأبديّ

لِلُّغةِ الجميلةِ ، والصّبيِّ هناكَ ..

يمشي حالمَ العينينِ ، في قلقِ الرّجالِ -

له البراري البكرُ

والصُّبحُ الجميلُ يُطِلُّ في حَذَرِ الخجولِ

على صبايا قد خرجْنَ إلى الحقولِ

مبكّراتٍ ..

ثُمَّ عُدْنَ مُضمّخاتٍ .

بالعبيرِ وبالنّدى

وطهارةِ الرّيفِ الجليليِّ الجميلْ .

كم كانَ ينتظرُ الشّبابَ

وشَعرُهُ الذّهبيُّ يضحكُ للحياةِ

وليسَ يعلَمُ أنَّ في رَحِمِ الحياةِ

حكايةً أُخرى تُحدّثُ عن نهايةِ شهرزادَ

على الصّليبِ

وعن رُؤَى أيّارَ ينثُرُ وردَهُ -

بعضاً على أشلاءِ قتلانا

وبعضاً لانْتصاراتِ الغُزاةِ الفاتحينَ

وما تبقّى للمآتمِ والوداعِ ... وللرّحيلْ .

حَمَلَ الرّبيعَ وجرحَهُ المفتوحَ ،

وانتعلَ اللّهيبَ

وراحَ يركضُ في الفضاءِ الرّحبِ

يُلقي هَمَّهُ الفرديَّ والجمعيَّ - حيناً

للكمنجاتِ الحزينةِ حين لا تبكي.

وحيناً للهوى العُذريِّ واللّيلِ الطّويلْ .

لم أبكِ طولَ العُمْرِ قالَ،

وضِحْكَتي صُلبتْ هناكَ .. على مَشارِفِ جَنّتي

من قبلِ أن تُعطي ليَ الأيّامُ شيئاً

من حليبِ صَفائِها

ورَخائِها

لأُعِدَّ للأيّامِ ما حَمَلَتْ ليَ الأيّامُ

من هَمٍّ ثقيلْ .

وأذُبَّ عن أهرائِنا جَشَعَ الجرادِ

وما يُخلِّفُهُ الجرادُ من الفسادِ ..

فإنْ تَصحَّرتِ القصيدةُ

وانْتَفَى وَهَجُ الكلامِ

أُنادِ : يا طفلاً هناكَ على روابي (بروةَ) الأجدادِ

جئْني باليَراعِ وبالمِدادِ

وأسَعْفِ القلبَ العليلَ بنفْحَةٍ

من طيبِ أنفاسِ الجليلْ .

*

موتُ الغريبِ عن الدّيارِ بميتَتَيْنْ .

وغريبُ دارٍ في ديارِ الأهلِ

يَشْقَى بالحياةِ وغُربَتَيْنْ .

فأبوكَ قد حَمَلَ الجِراحَ ،

وشوقَهُ الدّامي اليكَ ،

وغُربتينِ وميتتينْ .

وسلبْتَ أمَّكَ قلبَها

وجعلتَ من أملِ الرّجوعِ لحِضْنِها

تِرياقَها اليوميَّ تأخُذُهُ كقهوةِ صُبحها

ورغيفِها البلديِّ يُعطيها الحياةَ ،

فهلْ تعودُ - يظلُّ أهلُكَ يسألونَ -

ويذخَرونَ لحينِ عودتكَ القريبةِ ،

دَمْعَتَيْنِ وقُبْلتَيْنْ .

وجعلْتَ قومَكَ لانتظارِ رُجوعِكَ الفَرضيِّ

في قَلَقٍ - ولا عتبٌ عليكَ -

فذي شُؤونُ الصّاعدينَ إلى فضاءَاتِ الكلامِ

وَقِمَّةِ الأُولمبِ ،

لكنْ ، قد قسوتَ ،

وليسَ يمنعُ إن قسوتَ بأنْ نسامِحَ ظِلَّكَ العالي

وبسمَتَكَ الجميلةَ ، إذْ أتيتَ ،

وقلْتَ : يا أمّي سأحمِلُ من دُعائِكِ

بعضَ ما يَشْفي الفؤادَ ،

دعي ملامَتكِ الرّقيقةَ رَيثما أرتاحُ من شَوقي اليكِ

وبارِكي قلباً مُسَهَّدْ .

وسألتَ أخوتَكَ السّماحَ وأنتَ تَدري

كم يُحبُّكَ إخوةٌ حَمَلوكَ رَمْزاً للكمالِ

وعلّقوا مُنْذُ الرّحيلِ الأوّلِ القَسْريِّ

صورَتَكَ الجميلةَ والبريئَةَ

في القلوبِ وفي البُيوتِ

وكنتَ مِسْكَ حديثِهم عندَ الحديثِ

وحين يصمُتُ جَمعُهُمْ

كنتَ الختامَ لِكُلِّ مَشْهَدْ .

ستظلُّ مِسْكَ حَديثِهمْ

وحديثِ من ضَحِكوا إذا عَبَسَ الزّمانُ

وقِيلَ للنّفسِ الأبيّةِ : ذا امتحانُكِ

فاصْبِري أو فاصْغُري ..!!

ودَعِي الميادينَ الفسيحةَ للجيادِ العُصْمِ

والنّصْرِ المؤَكّدْ .

وتظلُّ مِسْكَ حديثِهم

وحديثِ من جَعَلُوا الحياةَ قصيدةً

ورغيفَ خُبْزٍ

وانْتِصاراً لِلْجَمالِ ،

بَزَغْتَ مُنْتَصِراً

ومُنْتَصِراً تغيبُ - ولا تغيبُ - ،

نراكَ في بِدَعِ الكلامِ ،

وما تركتَ مِنَ النّشيدِ ،

وقد نراكَ معَ الرّبيع حمامةً بيضاءَ

أو نَسْراً يُحَلِّقُ في البعيدِ

وكم نراكَ بإخوةٍ

جعلوكَ يوسفَ بينهم

راضينَ - لا قلقٌ يساورُ قلبَ يعقوبَ النّبيِّ ...

فذا نصوحي يستعينُ على المَضاضَةِ بالرِّضى

وزكي أخوكَ أخو الجميعِ المُرتَضى

وأخوكَ أحمدُ وَهْوَ فَوقَ الحمْدِ أحمدْ .

وجميعُهم صَلَّوْا لأجلكَ

كي يَقوكَ من العيونِ

وأنت تَصْعَدُ .. ثُمَّ تَصْعَدُ .. ثُمَّ تَصْعَدْ .

والآن يَحْرُسُهُمْ نشيدُكَ ،

يَحْرُسُ الأحياءَ والمَوْتَى ..

ويحرُسُنا

ويحرُسُ صورةَ الوطنِ المؤَمَّلِ

والمُعَلَّقِ بين صَمْتِ الحرفِ

والعَمَلِ المُؤَجَّلِ ....

كالسّرابِ إذا بَعُدْتَ تراهُ أقربَ

أو قَرُبْتَ تراهُ أبعدْ .

يا أيُّها المسكونُ بالنّار المُقدَّسةِ الأُوارِ

ونورِها ..

حملتْكَ أجنحةُ الغيومِ إلى البعيدِ

وليتَ تعلمُ أنْ تركتَ الشّعبَ

في شوقٍ مُؤَبّدْ .

نَقّلْ خُطاكَ على الأثيرِ إلى الخُلودِ

وقد بدأْتَ بما بدأتَ ، وما انتَهيتَ ...

ولا تُؤاخذْنا إذا زُرْناكَ شِبْهَ فراشةٍ

أو عَنْدَليبٍ

أو سُنُونُوَةٍ ،

وألقينا عليكَ نشيدَنا الوطنيَّ

كي تُلقي علينا آخرَ الأنشادِ

عن شعْبٍ تَشَرَّدْ .

طُوبى لِمَنْ قَطَفَ النُّجومَ - كما قطفْتَ -

وراح يبحثُ في الزّمانِ الصّعْبِ

عن طِفْلٍ تَمَرَّدْ .

طُوبى لشَعْبٍ أنْجَبَ العُظماءَ ،

يا شَعْبي العظيمَ

وأنتَ تخرجُ من رمادٍ

ثُمّ تدخلُ في رمادٍ

ثُمَّ تخْرجُ .. ثُمَّ تدخلُ .....

أنهكتْ عيناكَ غائلةَ الطُّغاةِ ،

وحارَ فيكَ رُواةُ تَدْبيجِ التّواريخِ القديمةِ

والحديثةِ ،...

ليتَهُم عَرَفُوا بأنَّهُمُ الطُّغاةُ ..

هُمُ الطُّغاةُ إلى الزّوالِ وأنتَ سَرمدْ .

البقيعة–الجليل ١٢/٩/٢٠٠٨

* منيرفا : في الميثولوجيا الرّومانيّة إلهة الحكمة والفنون والحرب الدّفاعيّة - وهي أثينا في الميثولوجيا اليونانيّة.

* حوريّة: والدة الشّاعر.

آريس لا يحبّ القتلة..

آريس: الهُ الحَرْبِ في الميثولوجيا اليونانيَّةِ - وَرَديفُهُ مارس لَدَى الرُّومان .

1

لعلّ الأمانيّ أقوى من الموت ..

كأنّ الّتى لم تَمُتْ ساعَةَ القَصْفِ

حَيْرى ..

تنبِّشُ تَحْتَ الرُّكامِ المُقَدَّسِ عن أهلِها .

ولكنَّ عَينَ الكَميرا تُؤَكِّدُ ؛

أنّ الّتى لم تَمُتْ ساعةَ القَصْفِ

قد فَقَدَتْ أهلَها ذاتَ قَصْفٍ

وها هيَ ذي الآنَ تَبْحَثُ عن طِفْلِها .

على شَاشَةِ التّلفزيونِ أَصْلُبُ قَلْبي

وعيني تَرِفُّ

وقد جفَّ في لَحْظَةٍ دَمْعُها .

وتلكَ الّتي لم تَمُتْ ساعةَ القَصْفِ

والْتَقَطَتْها كَميرا المُصَوِّرِ لم تَبْكِ ..!!

كَيفَ !؟....سَألتُ

وكانَ سُؤاليَ يَجْمَعُ هَولَ الإجابَةِ عن وَجْهِهَا .

لَعَلَّ الأمانيَّ أقوى منَ الموتِ ،قلتُ ،

وكانتْ تُلَمْلِمُ ـ تلكَ الّتي لم تَمُتْ ساعةَ القَصْفِ ـ

بَعْضَ بَقايا حَياةٍ ...هُناكَ ...وتَمْضِي...

لَعَلَّ خُطاها تَقودُ خُطاها الى خِشْفِها .

وَعَلَّ الّذي لم يَجِدْ مَطْرَحاً في الحَياةِ

له مَطْرَحٌ تَحْتَ هذا الرُّكامِ ،

وَصَوتٌ خَفيتٌ يُقَلْقِلُ هَذي الحَضارةَ من رُكْنِها .

البقيعه- الجليل -٢٠٠٩/٢/٤

2

كَأَنّا وُلِدْنا وَقُوداً ..

كَأَنّا وُلِدْنا وَقُوداً رَخيصَاً لِهذي الحُروبِ

سألتُ ..!

لِماذا يَعيشونَ حتّى يَمَلُّوا الحَياةَ

ونَحْنُ نَموتُ وَفينا اشْتِهاءٌ لِعُمْرٍ

يَزيدُ قَليلاً عَنِ الأربعينَ ،

- وليسَ كَثيراً - !! لِنَعْرِفَ طَعْمَ الكُهولَةِ

كَيفَ يَكونُ

وكَيفَ تَكونُ الحَياةُ بِمِسْبَحَةٍ منْ صَديقٍ

يَعودُ مِنَ الحَجِّ يَحْمِلُ بَعْضَ الهَدايا .

وكَيفَ تَكونُ بِساعَةِ جَيْبٍ

يُوَرِّثُها والدٌ لِابْنِهِ عَنْ أَبيهِ

إذا دَاهَمَتْهُ المَنايَا .

وعُكَّازِ زَانٍ يُعينُ على وَجَعِ الرُّكْبَتَينِ

وأخْذِ المُنوِّمِ مَنْعَاً لِطُولِ اللَّيالي

وهَوْلِ الأَرَقْ .

سألتُ ..

فأينَ تُرى نَجِدُ الرَّدَّ ؟!

ليسَ على الأَرْضِ ... هَلْ في السَّماءْ ؟؟

أمَ انّا نَظَلُّ وَقُوداً رَخيصَاً لِهذي الحُروبِ

ونَنْتَظِرُ الضَّوءَ رَغْمَ ابْتِعادِ المَسافاتِ

رَغْمَ ظَلامِ النَّفَقْ ؟؟

سَألْتُ .....

البقيعة ـ الجليل ٢٠٠٩/٢/١٠

3
فِيرونِيكا

كأنَّ الجَميلةَ هذا المَساءَ ,
على شَاشَةِ التِّلِفزْيونِ
قدْ نَسِيَتْ بْروتُكولاتِ مِهْنَتِهَا .
فَمَدَّتْ أَنامِلَ تَحْكِي الشُّموعَ شُحوباً
لِتَمْسَحَ عن خَدِّها دَمْعَها .
وكانَ المُراسِلُ عَبْرَ الأَثيرِ
يُرافِقُ عَيْنَ الكَمِيرا
ويَنْقُلُ هَولَ الدَّمارِ المُضَرَّجِ ,
بِالدَّمِ ,
والصَّلَفِ العَسْكَرِيِّ...
سَأَلْتُ وَقَدْ فَعَلَتْ رَبَّةُ الحَرْبِ بِالسِّلْمِ فِعْلَها :

تُرى ما تَقولينَ لِلْمُحْتَفينَ ,

بِذاكَ الدَّمارِ العَظيمِ

وَقَدْ أَزْعَجَتْ حَفْلَهُمْ دَمْعَةٌ مُوجَبَهْ .

وماذا تَقولينَ لِلْبائِسينَ

وعِنْدَكِ أَلْفُ يَسوعٍ يَموتونَ ,

قَبْلَ الوُصولِ إِلَيكِ

لِكَي تَمْسَحِي الجَبْهَةَ المُتْعَبَهْ .

سَلامٌ مِنَ الرَّبِّ والشَّعْبِ فِيرونِيكا !

وشُكْرَاً لِمَنْ قَدْ رَآكِ بِهذا المَساءِ ,

وقَدْ شَرِقَتْ مُقْلَتاهُ لِما قَدْ رَآهْ !

تُوداهْ ..!! تُوداهْ ..!!

ألبقيعه–ألجليل 18.2.09

4
أَعِيدي الكَلامَ الجَميلَ ..

الى أغي مشعول אגי משעול

سَمِعْتُكِ عَبْرَ الأَثيرِ ,

وكانَ الرَّصاصُ المُذابُ

يَسُدُّ على الرُّوحِ كُلَّ الجِهاتِ

فَقُلْتُ: أَعِيدي عَليَّ الكَلامَ

فَإنَّ الكَلامَ الجَميلَ

يَجُرُّ الكَلامَ الجَميلَ

ويَفْتَحُ بَاباً لِشَدْوِ البَلابِلِ

إنّي سَئِمْتُ نَعيبَ الغَرابينِ كُلَّ صَباحٍ

وأَحْسِبُ أَنَّكِ أَنْتِ سَئِمْتِ ..

وقُلْتُ: تَعالَيْ لِنَكْتُبَ شِعْراً جَميلاً

يُعَلِّمُ أَطْفالَنا القادِمينَ

نَشيدَ إشَعْياءَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ

فَإنّي تَعِبْتُ مِنَ المَشْيِ خَلْفَ الجَنازاتِ ,

إنّي تَعِبْتُ مِنَ الوَرْدِ يُلقى

على شَاهِداتِ القُبُورِ

وليسَ على عَرَباتِ العَرائِسِ ..

إنّي تَعِبْتُ ...

وأَحْسِبُ أَنّكِ مِثْلي تَعِبْتِ

فَيا سَادِنَ المَوتِ مَنْ ذا تَكونُ ؟!

لَنَا الحُبُّ يَنْمُو

ويُزْهِرُ فَوقَ الرَّوابِي

سَواسِنَ تَمْلَأُ رَحْبَ الفَضاءْ .

قَبيحَاً أَراكَ تُطِلُّ

وكَأْسُكَ مُتْرَعَةٌ بِالدِّماءْ.

كَريهَاً أَراكَ تُصَفِّقُ لِلسَّادةِ القَادَةِ الأَغْبِياءْ .

ويا سَادِنَ المَوتِ

وألحُجَرِ المُظْلِماتْ ..

لنا الشَّمسُ

وألشِّعرُ

والأُغْنِياتْ

ونايٌ شَجِيٌّ يُمَجِّدُ هَذي الحَياةْ .

ألبقيعة ألجليل 9.3.09

1) فيرونيكا: امرأه يهودية مسحت بمنديلها وجه المسيح وهو منقاد بالاغلال إلى الجلجثة .

٢) توداه: كلمة عبرية تعني شكراً .

٣) آجي مشعول : شاعرة مبدعة من أبرز الأصوات الشّعريّة العبريّة التّقدّميّة.

مَشْهَدٌ تِلِفزْيونِيّ

أَيْقَظَهُ الجُوعُ

فَفَتَّحَ عَينَينِ على طُولِ الأُفُقِ

وعَرْضِ الصَّحْراءِ

و شَمْسٍ تَنْصَبُّ وتَنْصَبُّ.... وتَنْصَبُّ

وتَحْرُقُ وَجْهَ الرَّمْلِ...

فَيَطْغَى الآلُ على ذَاكِرَةٍ

تَمْتَحُ قُوَّتَها

مِنْ نُسْغِ غَريزَتِها .

نَهَضَ الذِّئْبُ ...

تَنَفَّضَ مِنْ خَدَرِ النَّوْمِ

وطُولِ صِيامٍ

أَذْكَى في النَّفْسِ شَآبيبَ عَداوَتِها .

نَهَضَ الذِّئْبُ ...تَنَفَّضَ

بَدَّلَ كُلَّ مَلامِحِه

يَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ كَي يَنْقَضَّ على هَدَفٍ حَيٍّ

يُسْكِتُ صَخَبَ السَّغَبِ المُتَصاعِدِ في الأَحْشاءِ

ولَيْتَ الرِّيحَ المُعْوِلَةَ

تُنَبِّئُ بِالفَرَجِ المُنْتَظَرِ طَرائِدَ ،

تَسْتَلُّ مِنَ الرُّوحِ الحَيْرى أَسْبَابَ مَرارَتِها .

كانَتْ عَينُ الكَامِيرا

تَتَنَقَّلُ ما بينَ الذِّئْبِ المَسْكونِ بِطَيْفِ فَريسَتِهِ

ـ سَغَبِيَّ النَّابِ ـ

وبَينَ قَطيعِ ظِباءٍ يَصْعَدُ ..

يَهْبُطُ..

يَصْعَدُ ..

يَهْبُطُ .....

يَطْوي الكُثْبانَ الى ماءٍ

قَدْ يَشْفَعُ لِلصَّحْراءِ خِداعَ الآلِ

وهَولَ قَساوَتِها .

سَغَبٌ .. عَطَشٌ

عَطَشٌ .. سَغَبٌ

تِلكَ سَماءُ اللهِ بَهاءٌ عَجَبُ

وعَلَى الأَرْضِ رِمالٌ لَهَبُ

والذِّئْبُ الجَائِعُ يَعْدُو .. يَعْدُو ..

يَقِفُ قَليلاً .. يَتَجَسَّسُ .. يَتَرَبَّصُ ..

يَسْتَذْكِرُ أَسْرارَ غَريزَتِهِ ؛

- شُقَّ الجَمْعَ

وفَرِّقْ شَمْلَ السِّرْبِ

تَفَرَّدْ بِضَعيفٍ ... فَالعِزَّةُ لِلأَبْقَى !! -

سَقَطَ الخِشْفُ على جَزَعٍ

وانْقَضَّ الذِّئْبُ على جَشَعٍ

فَالنَّابُ الصَّفْراءُ الجَوعَى

تَعْرِفُ أَينَ تَغورُ بِعُنْقِ طَريدَتِها .

صَمْتٌ تَكْسِرُهُ خَرْخَرَةٌ حِيناً

حِيناً يَقْطَعُهُ حِسٌّ وَلُهاثٌ

صَمْتٌ ..خَرْخَرَةٌ ..وَلُهاثٌ

صَمْتٌ ..وِلُهاثٌ ..

صَمْتْ .

خَاتِمَةُ المَشْهَدِ :

عَينانِ تَرِفَّانِ تَدورانِ

تَغورانِ ...

تَشُدَّانِ حَياةً هارِبَةً

ما بَينَ هَزيمِ الفَجْأَةِ وهَسيسِ الوَهْمْ

وفمِ الذِّئْبِ المُنْتَصِرِ يُلَطِّخُهُ الدَّمّ !!

وأَنَا ....

تَحْمِلُنِي الدَّمْعَةُ نَحوَ مَصيرِ الضُّعَفاءِ

ويَقْتُلُنِى الغَمّ .

البقيعة \ الجليل ١٦\٥\٢٠٠٩

هُنا يَسْتَريحُ الجمالُ...

سَأَجْلِسُ حينَ يَطيبُ الجُلوسُ لِقَلْبي المُشاغِبِ،

قُلْتُ سَأَجْلِسُ كي أَسْتَعيدَ قليلَ نَشاطٍ

وبَعْضَ الزَّمانِ الجَميلِ

وأَحلامَ طِفْلٍ يَسوسُ الوُجودَ بِدونِ قُيودٍ...

فَيَضْحَكُ ..

يَغْضَبُ ..

يَبْكي إذا ما الفَراشاتُ طارَتْ بَعيداً..بَعيداً

كما لا يَشاءُ،

لِتَشْرَبَ زُرْقَةَ هذي السَّماءِ،

وتَدْعو السَّحابَ السَّخِيَّ

لِيَسْقُطَ فَوقَ الحُقولِ رِهاما

ويُرْوي عِطاشَ الخُزامى

ويُقْرِئَ سِرْبَ اليَمامِ الحزينِ السَّلاما

ويَسْري مَعَ النُّورِ نوراً يُضيءُ الظَّلاما

ويَحْمِلَ لِلْبائِسينَ حديثَ الحَساسينِ،

حينَ تَمُدُّ الرَّبيعَ بِألوانِها الزَّاهِياتِ

وتَشْدو لِزَهْرٍ تَأَخَّرَ عَنْ مِهْرَجانِ الأَريجِ....

وقَلْبي المُشاغِبُ يَشْدو مَعَ الحَساسينِ،

رَغْمَ وَصايا الطَّبيبْ.

.....هُنا يَسْتَريحُ الجَمالْ

فَلا القُبْحُ قُبْحٌ

ولا الجُرْحُ جُرْحٌ

ولا المَوتُ مَوتٌ!!

ولَسْنا نُجيدُ البُكاءَ الذَّليلَ هُنا في الجَليلْ

ولا النَّادِباتُ يُجِدْنَ العَويلْ

فَيا أَيُّها الطِّفْلُ في القَلْبِ/قَلْبي الكَسيرِ العَليلْ

تَمَرَّدْ على القَلْبِ،

واجْعَلْ مَزاميرَ داودَ أُنْشودَةً تُؤْنِسُ الرَّكْبَ

لا زَفْرَةَ التَّائِبينَ

وخَلِّ عَرائِسَ بَحْرِ(أُذيسَ)تُرَتِّلُ سِحْراً

وتَفْتَحُ سَمْعَ الطُّغاةِ الثَّقيلْ.

سَأَجْلِسُ قُلْتُ...

سَأَجْلِسُ حينَ يَطيبُ الجُلوسُ

بِهذا المَكانِ الجَميلْ

فَهَلْ مِنْ زَمانٍ جَميلْ.....!؟

(البُقَيعَة/الجَليل/٢٠/١١/٢٠٠٩)

سَأَجْعَلُ مِنْ حُبِّهِ رُقْيَةً...

سَأَلْتُ الفُؤَادَ:لِماذا تَخونُ الوَدادَ

وتَعْلَمُ أَنّي سَخِرْتُ مِنَ العَقْلِ حينَ نَهاني طَويلاً

بِأَلاّ أُطيعَكَ طَوعَ البَنانِ

وأَلاّ أُخالِفَ نُصْحَ الطَّبيبْ.

بِماذا تُجيبُ وقَدْ أَثْقَلَتْكَ اللّيالي الطِّوالُ

بِلَوْمِ المُحِبِّ الوَفِيِّ

وعَتْبِ القَريبْ.

تَمَرَّدْتَ ....!!ليسَ يَضِيرُ..

كَفاني انْتِصاري عَلَيكَ

بِأَنّي الخَليلَ الوَفِيَّ أَظَلُّ

وحُبّي يَظَلُّ كَبيراً..وَفيراً كَخُبْزِ المَسيحِ العَجيبْ

يُوَزَّعُ لِلْبائِسينَ بِكُلِّ زَمانٍ

وكُلِّ مَكانٍ

فَلا الخُبْزُ يَفْنى

ولا مَكْرُماتُ المَسيحِ تَجِفُّ كَدَمْعِ المَسيحِ

على خَشَباتِ الصَّليبْ.

****

سَأَجْلِسُ...قُلْتُ

فما زالَ عِنْدِيَ شَعْبي الحَبيبْ.

سَأَجْعَلُ مِنْ حُبِّهِ رُقْيَةً تَحْرُسُ العُمْرَ

مِنْ عَثَراتِ الحَياةِ...وطَيشِكَ..

تَحْفَظُ عَهْدَكَ كَيما تَعودُ كثيرَ الزَّكاةِ

قَليلَ الذُّنوبْ.

(البُقَيعَة/الجليل/٢١/١١/٢٠٠٩)

سَأَشْكُرُ...

(خواطر في مَشْفى)

سَأَشْكُرُ لِلْعِلْمِ والعُلَماءِ اجْتِهاداتِهِمْ في ابْتِكارِ الحَديثِ،

وما قَدْ يُخَفِّفُ عَنَّا عَذاباتِ داءٍ عُضالٍ

وهَولَ الزَّمانِ العَصيبْ.

وأَشْكُرُ حُسْنَ النَّوايا

وأَصحابَها يَحْمِلونَ إلَيَّ كَثيراً مِنَ الحُبِّ..

والعُشْبِ-قَصْدَ التَّداوي-...

وأَشْكُرُ نُصْحَ الطَّبيبِ الأَريبْ.

وأَحْمِلُ لِلْعائِدينَ جَميلَ امْتِنانِيَ

أَحْمِلُ أَكْثَرَ لِلسَّائِلينَ عَنِ الوَضْعِ عَبْرَ الهَواتِفِ،

لَيْسَ لَدَيَّ مِنَ القابِلِيَّةِ ما يَتَحَمَّلُ طُولَ الحَديثِ...

ولا الصَّمْتَ-حينَ يَحُطُّ ثَقيلاً على أَوجُهِ الزَّائِرينْ

أَنا لَمْ أَصِلْ بَعْدُ شارَةَ حَظْرِ المُرورِ عَلى شارِعِ المَوتِ..!

هذي الحَمائِمُ بيضاً تَرِفُّ على جَنَباتِ السَّريرِ

وتَنْثُرُ حَولي أَريجَ الأُنوثَةِ

تَبْعَثُ فِيَّ لَذاذاتِ هذي الحَياةِ

وتُطْلِقُ سِرْبَ الفَراشاتِ في خَلَجاتِ الفُؤَادِ

فَتَجْعَلُ لَيلي نَهاراً

ويا قَلْبُ تَجْعَلُ بُهْمَةَ لَيلِكَ لَيلَكْ.

.....أَطَلَّ مِنَ الغَيْبِ (طوقانُ)..قالَ:

وماذا تَقولُ لَهُنَّ

وقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ فيهِنَّ؟!

قُلْتُ:سَلامٌ عَليكَ

سَلامٌ عَلَيهِنَّ

....لا قولَ بَعْدَكْ.

إضاءات::

١-الحَمائِمُ..إشارة الى المُمَرِّضاتِ بِلِباسِهنّ الأَبيض.

٢-طوقان..المقصود الشّاعر الفِلَسطيني خالِد الذّكر إبراهيم طوقان.

٣-(ماذا تقولُ لهُنَّ وقد قلْتُ ما قُلْتُ..)إشارة الى قصيدته الرّائعة (بيضُ الحَمائِم)

(البُقَيعة/الجليل/٢٠٠٩/١٢/٢٤)

صباحي جميلٌ

صَباحي جميلٌ بِهذي السّواسنِ
تُهدي معَ الصّبحِ للصّبحِ أنفاسَها .
جميلٌ ضُحايَ بدَفْقِ الحياةِ
وشمسٍ تُجاهرُ في حُسْنِها
إذا راوَدتْها الجِبالُ
تَصُبُّ على عالِياتِ الجِبالِ
أريجَ الإلهاتِ حيناً
وحيناً تُجَلّي لها ماسَها .
وعندَ الأصيلِ جميلاً أراهُ نَهاري
سَعيداً أعودُ إلى دِفْءِ داري
وأَجْملُ مِنْ ذا

دِيارٌ لَواها الحنينُ

فراحَتْ تُعيدُ إلى حِضْنِها ناسَها .

مَسائي جَميلٌ كصُبْحي الجميلِ

بهذا النّسيمِ العليلِ

بِرِفْقَةِ أُنْسٍ

وقُبَّةِ لَيْلٍ إذا ثَقَّبَتْها النُّجومُ

تَنِثُّ على الأرضِ سِحْرَ النُّجومِ

وَصَبْراً جَميلاً

يَصُدُّ عَنِ النَّفْسِ وَسْواسَها .

فَيا مَنْ تَنادَوا لِقَتْلِ صَباحي الجَميلِ

أتُطْرِبُكُمْ قَعْقَعاتُ الحَديدِ

فلا تَسْمَعونَ نَشيدَ الحياةِ

إذا صَكَّتِ الحَرْبُ أضْراسَها !

ويا أيُّها الحالِمونَ بِما يُشْعِلُ النّاسَ عِشْقاً

لِهذي الحياةِ ..

تَعالَوا جَميعاً لِنَرْكَبَ في المَرْكَبِ الصَّعْبِ ،

خَلّوا الجِيادَ تَشُقُّ الفَيافي

وخَلّوا المَراكِبَ تَسْتَصْغِرُ البَحْرَ

هذا زَمانٌ يَغُلُّ أيادي الكِرامِ

وَيَجْعَلُ رَهْطَ العضاريطِ حُرّاسَها .

لَقَدْ تَعِبَ القَلْبُ دَهْراً !!

أما آنَ لِلقَلْبِ أنْ يَستَريحَ بِظِلِّ الفَوارِسِ ـ

يَسْتَعْذِبونَ الصَّهيلَ

وتِلْكَ المَيادينَ تُطْلِقُ نَحْوَ المَجَرّاتِ أفْراسَها،

لِيَبْقى صَباحٌ جَميلٌ يُطِلُّ

وَتَبْقى سَواسِنُ تُهْدي مَعَ الصُّبْحِ لِلصُّبْحِ أنْفاسَها .

البُقيعة – الجليل ٩/٣/٢٠١٠

وشوشات (فيفالدي)*

Vivaldi

(١)

كزهرِ الرّبيعِ تُبَرعمُ نفسي

اذا ما أتاها الرّبيعُ تعمّمَ بالشّيحِ/أخضرَ/أصفرَ

هذان لونانِ لا يحملان سوى أبديّةِ هذا المكانِ

وعَهْدٍ تُجدّدُهُ كركراتُ الطّفولةِ عاماً فعاما.

أنا من قديمٍ حملْتُ على راحتي مُهجَتي..وانتظرْتُ

فما أجملَ الانتظارَ اذا توّجَتْهُ المواعيدُ

بينَ كرومِ الدّوا لي

فإن مالَتِ الشّمسُ نحو المغيبِ

تنفّضَ في مجدِهِ السّنديانُ

وأَلْقَى على العاشقين السّلاما.

أنا والحبيبةَ نرشفُ نُسغَ الرّبيعِ

ونجمعُ كُلَّ الأمانيِّ في راحتيْنِ

رفوفَ سنونو تُهَنْدِسُ في عالياتِ السُّقوفِ

بُيوتاً من الطّينِ والعشقِ حيناً

وحيناً تُغنّي مَعَ السّاقياتِ

نشيدَ الحياةِ/دُعاءَ نبِيٍّ تَسامى

تَعالَيْ..حبيبةُ!

إنّي أحبُّ الرّبيعَ وِشاحاً على كتفيكِ

وهاتي يديكِ لأرقصَ..

حَولي الفراشاتُ تَلْهو مَعَ الرّيحِ

فوقي سمائي وسِرْبُ يمامٍ...وأنتِ

وتحتي بساطُ خُزامَى.

(٢)

وإنّي..

أنا مَنْ أحبَّ الخُزامى

وصلّى لهذا الجليلِ الجليلِ وهاما.

وعُمْرُ الخُزامى قصيرٌ

فلا تَعْذِلوني اذا ما بكيتُ

وقلبي لِبُعْدِ الحبيبِ تَرَوْنَ حُطاما.

ولا تَعْذِلوني اذا ما سألتُ الرّبيعَ:

لماذا تركتَ الأحِبَّةَ قبلَ الأوانِ يتامى.

على الأرضِ تُلْقي حرارَتَها الشّمسُ-

صَيفُ بِلادي لَهُ حِكمةُ الأنبياءِ

فيقسو ويرحمُ كي تُكْمِلَ الأرضُ تَرْحالَهَا.

ويخضرُّ عُشبٌ

ويحمرُّ وَرْدٌ

وتُلْقي على الدّربِ ذاتُ الجمالِ

هسيسَ خُطاها وخَلْخالَها.

ويهفو حمامٌ

يَحُطُّ على نبعِ ماءٍ

فيشربُ حيناً

وحيناً يُنَفِّضُ عن ريشِهِ سَوْرَةَ الحرِّ....

لا تَلْعَنِ الحرَّ !قالتْ مناجلُ ترنو الى حَقْلِ قمحٍ

فَشُكْرَاً لِشَمْسٍ تعودُ مع الصّيفِ خَوْخَاً وتيناً....وذِكرى..

-صبايا حملْنَ الجِرارَ الى نبعِ ماءٍ

هناكَ رفعْنَ فساتينَهُنَّ يُبَرِّدْنَ أقدامَهُنَّ ،

وسيقانُهُنَّ بدتْ مثلَ شمعٍ شديدِ البياضِ

يسيلُ على القلبِ والشَّفَتَينِ لِعابِرِ دَرْبٍ ولكنْ سيُغضي

بأمرِ الشَّهامةِ يُغضي،

ويُطفئُ في صدرِهِ غُلْمَةً عارِمَهْ.

فيا أيُّها الصّيفُ خُذْ ما تشاءُ

وخلِّ الأماسيَّ تحتَ العرائشِ

فوقَ البلاكينِ

عندَ المداخِلِ ..

خلِّ الأحاديثَ:

-جارٌ يُحَدِّثُ جاراً عن الحرِّ والقُرِّ،

والرَّأسمالَ

وسوءِ المعيشةِ ...

-أُمٌّ تُنادي على ابنتِها البكْرِ كي تفتحَ النّافذاتِ

وكي لا تُطيلَ الوقوفَ

فللنّاسِ ألسِنةٌ ظالمهْ.

لقد دارَتِ الأرْضُ..دارتْ..ودارتْ...

وما زلتُ طفلاً،هناك،

أُعلِقُ قلبي الطَّريءَ على مِشْجَبِ العُمْرِ

والذّكرَياتُ تظلُّ ترانيمَ أيّاميَ القادمهْ

.

(٣)

وأيّاميَ القادمهْ..

تَدِبُّ على قَدَمَينِ عَجوزَينِ...قالتْ عَصايَ:

سيأتيكَ يا ابني زمانٌ أكونُ رفيقةَ دَرْبِكَ

أيلولُ آتٍ وما عادَ غيرُ الحفيفِ

وريحٌ تهزُّ غُصونَ الشّجرْ.

ولم يبقَ من دانياتِ القُطوفِ،

وزيتونةٍ تحرسُ الوقتَ..

لم يبقَ غيرُ خوابي نَبيذٍ وزَيتٍ لِطولِ اللّيالي

ومُتْعةِ مَنْ يَنْشُدونَ السّمرْ.

أديروا كؤوسَ الشّرابِ

غداً نَفْلَحُ الأرضَ،

نبذرُ قَمْحَاً قُبَيلَ سُقوطِ المطرْ.

تمرُّ اللّقالقُ صَوبَ الجنوبِ

فَنَبْكِي لأنَّ اللّقالقَ سوفَ تَعودُ،

بِدونِ الأحبّةِ سوفَ تَعودُ

ونَبْقَى على شُرُفاتِ البُيوتِ

لنا قَمَرٌ في السّماءِ يُطِلُّ علينا

فَنَقْرَأُ في مُقلتَيهِ حَديثاً مُعاداً

عن الخَيرِ والشّرِّ والقُدرةِ القاهرهْ.

قَضَى الضّيفُ فَلْتَغسلوهُ على دَكَّةٍ طاهِرَهْ.

ولا تَصْلُبوهُ على نَخْلَتَيْنِ

فإنَّ الخَريفَ يَسُدُّ عليهِ دُروبَ النّجاةِ

يُحيلُ أغانيهِ قَرْعَ طُبولٍ

ولَحْنَ الحياةِ الجميلَ رِياحَاً تُلَولِبُ أطْرافَها صافِرَهْ.

(٤)

ويأتي الشّتاءُ....

تمرُّ على الرّوحِ ريحُ الشّمالِ

فأُغلقُ كلَّ شبابيكِ روحي لكي يدفَأَ القلبُ

قد أثقلَ القلبَ ضعفُ الخريفِ

وظلُّ الشّتاءِ الثّقيلْ

مضى العُمرُ يأكلُ فَصْلاً ويَشْربُ فَصْلاً،

فأَيُّ الفُصولِ أحبُّ؟.....لا فَرْقَ!

هذا الشّتاءُ يَجُرُّ جَميعَ الفُصولِ الى آخِرِ الدَّرْبِ ....

أينَ تُرى آخرُ الدّربِ؟قالتْ سَواسِنُ،

قد أسْلَمَتْ روحَها لانْتِظارِ البعيدِ

لَسوفَ أعودُ- كذا خبَّرَتْني قُبَيلَ الرّحيلِ

لَسوفَ أعودُ الى الأرضِ أحْمِلُ نُسْغَ الحياةِ الجديدةِ

قُلْتُ:أنا لستُ أنتِ

فإنَّ غُروبي بدونِ شُروقٍ

وأنتِ تَعودينَ حَقْلَ سَواسِنَ...قالتْ:

أنا أنتَ نحنُ جميعاً ندورُ مع السّرمديِّ

ربيعٌ يمرُ وصيفٌ يمرُّ

ويأتي خريفٌ

ويأتي شتاءٌ لِيغسلَ رِجسَ الحياةِ...تَعالَي اليَّ طُيورَ الشّتاءِ

أنا تَحْتَ هذا الصَّفيحِ أرى خُضَرةَالأرضِ

إنّي أرى زُرْقَةَ البَحْرِ

فَوقي أرَى اللاّزَوَرْدَ

ولا شَيءَ حَولي سِوى ظُلْمةِ القَبْرِ والكبرياءِ

تَعالَيْ اليَّ غُيومَ السّماءِ

فلا تَتْرُكيني بِدونِ وِشاحٍ مِنَ الفُلِّ والهِنْدَبَاءِ

وإنْ شِئتِ أم لم تَشائي

سَيَنْبُتُ فَوقَ رُفاتي

سَواسِنُ تَحْمِلُ سِرَّ بَقائِي

تَعالَيْ....تَعالَيْ....

البقيعة/الجليل ١٩,١,٢٠١١

*أنطونيو فيفالدي(١٦٧٨ - ١٧٤١) مؤلّف موسيقي ايطالي. من أشهر مؤلّفاته الموسيقيّة الفصول الأربعة.

تُرى
هل ترجلْتُ قبلَ الأوان ...؟!

أُحَمَّلُ من تَبِعاتِ القبيلةِ ،

والشّعرِ ...

ما يُتعِبُ القلبَ

أُلقي على دَكَّةِ الموتِ رأسي

وأرشفُ آخِرَ قطرةِ خَلٍّ بكأسي

وأنتظرُ الموتَ

لا الموتُ يأتي

وليستْ بُلَهْنِيَةُ العيشِ تأتي

وأحيا...

لأحملَ ما حمَّلتْني القبيلةُ من تَبعاتٍ

ولستُ ابنَ حُجْرٍ

ولا كنْتُ ضِلّيلَ عرشٍ أثيلٍ

وليسَ المُهَلْهِلُ خالي

لأغسلَ جرحي بدمعي وأطلبَ ثأري

فأقتلَ ألفاً

وأسبي من الغيدِ ألفاً

وإنْ خَذَلَتْني القبائلُ ألحقْ بقيصرْ.

أنا واحدٌ من رَعاعِ القبيلةِ

لسْتُ أريدُ سوى ابنةِ عمّي

أحرِّرُها من مَذَلّةِ سَبْيٍ تقادَمَ....

قوسي كسرْتُ

وهذي الكِنانةُ تحملُ حُلوَ النّشيدِ لكلِّ الأنامِ

وتحملُ حُلْماً جديداً/قديماً

فلا مَنْ يُفَوِّقُ سهماً

ولا مَنْ يَسُلُّ حُساماً وخِنجَرْ.

تُرَى هل تَرَجَّلْتُ قبلَ الأوانْ؟!

وبعتُ خيولَ طِراديَ بَيْعَ الهوانْ؟!

كأنّي بهم يجعلونَ المحاريثَ في كلّ آنٍ حِرابا.

ولا يَهنَأونَ إذا لمْ يُحيلوا الرِّياضَ يَبابا.

ولا يَسعدونَ بِما يُسْعِدُ البائسينَ

فما زالَ قايينُ يحملُ وِزْرَ الخطيئَةِ،

ما زالَ هابيلُ يلعنُ صمتَ النّجومِ

وحُزْنَ القمرْ.

قد ارْتَوَتِ الأرْضُ يا خالقي بالدّماءْ....

...وهل ينبُتُ القمحُ والوردُ يوماً بدونِ المَطَرْ؟!

البقيعة/الجليل ٢٠١١/٣/٢٥

حزيناً أسيرُ..

حزيناً أسيرُ على الدَّربِ،
ليسَ لأَنَّ المسافةَ خلفيَ
أطولُ منها أمامي
ولكنْ لأَنّي فقدتُ البراءَةَ
مِثْلَ الَّذينَ يسيرونَ قُرْبي.
وكانتْ لنا القوتَ-قوتَ القلوبِ-

فنأْخذُ منها شَذا السَّوسَناتِ

ونترُكُ للغيرِ قَطْرَالنَّدى.

لماذا أُحِسُّ بأَنّي وحيدٌ

وهذي السَّآمةُ تشربُ عُمْري،

وتشربُ صوتَ الرَّبابِ الشَّجِيّ

ولمْ تُبْقِ لي غيرَ رَجْعِ الصَّدى.

تحامَقْتُ حينَ كتبْتُ بِخَطٍّ جَميلٍ،

أنا قد كتبْتُ بِخَطّي الجميلِ

حكايةَ عُمري الطَّويلِ

ولكِنَّ عينِيَ ليسَتْ ترى ما لا تُحِبُّ

فضاقَ الفَضاءُ على الأُمْنياتِ

وضاقَ على الأُغنياتِ نشيدُ الكَمانِ

وحُبٌّ كبيرٌ أراهُ بعيدَ المَدى.

وحينَ لَعَنْتُ الحياةَ..

تَبَسَّمَ ظِلُّ سَحابَةِ صَيفٍ تَمُرُّ وقالَ:

كِلانا غَريبٌ يَمُرُّ سَريعَاً بِهذي الحَياةِ..

فَلا تَبْتَئِسْ يا صديقي

وَخَلِّ الطَّريقَ لِغَيرِكَ ....

ما مِنْ نَهارٍ يَمُرُّ علينا

.....يَمُرُّ سُدَى

البقيعة/الجليل (١٥,٤,٢٠١١)

أنا أنْتِ

أنا أنْتِ..

قُلْتُ:تَعالَيْ لِنَسْهَرَ،

عَمَّا قليلٍ سَيَطْلُعُ من جُبَّةِ اللَّيلِ بَدْرٌ

فنشربُ شاياً

ونأْكُلُ كَعْكَاً

ونقرأُ شِعراً لهذا الزَّمانِ-

زمانٍ تَعَطَّلَ فيهِ الخيالُ

وناحَتْ على حَظِّها السَّاقِياتُ....

أراني سَأُصبِحُ شيئاً قديماً

كَساعَةِ جَدِّي القديمةِ،

عَمَّا قليلٍ سَيُصْبِحُ شِعراً كَتَبْتُ

مَديحَاً لِطُهْرِكِ،

ذِكرى تُصَنَّفُ في الكُمبيوترِ

في خانَةِ الذِّكرَياتِ

وَقَد لا تُصَنَّفُ أصْلاً سِوى نُكْتَةٍ

في سِياقِ الكلامِ...

أنا أنْتِ

لا تَظْلِميني بِبُعْدِكِ عَنِّي

ولا تَجْرَحيني بِقُرْبِكْ.

فهذي العَصافيرُ بيني وبينَكِ

جاءَتْ لِتَحْمِلَ عَنِّي الوَفاءَ

وتحمِلَ عنكِ حِكايةَ أَسْرِكْ.

أمُرُّ على سِجْنِكِ السَّامِرِيِّ

فلا تَلْتَفِتينَ-حِفاظاً عليَّ-

ويَزْجُرُني صاحِبُ السِّجنِ

تَلْتَفِتينَ،

فَأَقْرأُ في مُقْلَتَيكِ الغَرامَ الدَّفينَ،

يُبَرْعِمُ كُلَّ صباحٍ

اذا ما وَقَفْتُ على بابِ سِجْنِكْ.

تُرى قد هَرِمْتُ؟!

وما قد كتبْتُ خيالاتُ شَيخٍ عجوزٍ.....

....أراكِ تَدُقِّينَ بابيَ كُلَّ صباحٍ فنشربُ شاياً

ونأْكُلُ كَعْكَاً

ونقرأُ شِعْرَاً

فَلا تَضْجَرينَ لِطولِ الجُلوسِ

ولستُ أَمَلُّ...

وكيفَ أَمَلُّ وكفِّيَ مِشْطٌ لِشَعْرِكْ؟!

البُقيعة الجليل(٢٠١١, ٤, ١٧)

هذا العالمُ ليسَ بريئاً..

فَرَحِي جَزْرٌ

تَرَحي مَدٌّ

وحياتي ما زالَتْ بحراً عاتي الموجِ

يُقَلْقِلُني

ويعاندُ في صَلَفٍ مَرْساتي.

رفعَتْ أنواءُ البحرِ وتيرَتَها

فطَويتُ شِراعي

ونشَرْتُ الحُلُمَ شِراعاً

ينقُلُني حيثُ تركْتُ الوردَ الجوريَّ

يُفَتِّحُ في موعِدِهِ

وحقولَ القمحِ تُنادي مِنجلَ حاصِدِها شوقاً

في موعِدِهِ

ومقاتي الشُّمَّامِ البطّوفيِّ يُهاجمُها (الزّرعيُّ)*

تماماً في موعِدِهِ.

قلْتُ:سأَصحو من حُلُمٍ أكلَ شبابي

وتناسخَ ذاكِرَةً عافَتْها الأيّامُ

وما مَلَّتْ يوماً من سَرْدِ حِكاياتي.

تعبَ القلبُ وها أنذا أضْرِبُ في التِّيهِ،

يُحاصِرُني المَوجُ

وصَمْتُ البحّارةِ

أبحثُ عن جُزُرٍ آمنةٍ عَبَثاً

والشّاطئُ خلفَ حدودِ التّوقِ

يُلَمْلِمُ في خَجَلٍ أشتاتَ شَتاتي.

وهمسْتُ:سأُعطي لِحَمامٍ أبيضَ قد يأتي يوماً!

يحملُ غُصناً من زيتونٍ

أو قَصْفَةَ غارٍ

أو حتّى مِخلبَ عوسَجَةٍ...كُلّ حياتي.

وسأُعلِنُ لِلقمرِ السَّاهرِ

يَحْرُسُ طفلتيَ المسكونَةَ بالأَحلامِ

وأصواتِ ملائكةٍ

تهمسُ لِلقلبِ الفِجِّ بأنَّ الجُرحَ سيبْرَأُ

والقلبَ المقرورَ سَيَدْفَأُ

وسأُطفئُ في مِنفضةِ الفرحِ الغامِرِ آهاتي.

دَمَعَتْ عَيْني حينَ أعادَ النَّوُ زَوارقَ صَيْدي فارِغَةً

إلاّ من صَدَفِ اللُّؤْلُؤِ

ينقلُ لِرمالِ الشَّاطئِ أخبارَ نُعاتي.

لَمْلَمْتُ شتاتَ الرُّوحِ

ورُحْتُ أجوبُ الأَرضَ....

جِبالٌ تَرفَعُني

وتِلالٌ تُنزلُني

وطُيورٌ عائدةٌ بعدَ غِيابٍ تَهْزَأُ بي.

قُلْتُ:سَأَكتُبُ فَوقَ الغَيمِ قَصيدةَ شِعْرٍ

أو فَصْلاً من مَلْحَمَةٍ

أو بعضَ خِطابٍ ثَورِيٍّ!

أو إصْحاحاً يُنعشُ ذاكِرَةً

حَفِظَتْ أخْبارَ القاصي والدّاني

وتَناسَتْ في صَلَفٍ مَأْساتي.

هذا العالَمُ ليسَ بَريئاً كي أحلُمَ بصباحٍ وَرْدِيٍّ

لكنّي أطلُبُ دَفقةَ ضَوءٍ واحِدَةٍ

تَثْنيني عن دَرْبِ الأحزانِ،

فَقَد أجِدُ نَديماً يَسْقيني كَأْسَ سَعادَتِهِ

أو يَشْرَبُ كَأْسَ عَذاباتِي.

طالَ الدَّرْبُ

وما زالَتْ في الصَّدْرِ قَصائدُ فَرَحٍ

قد تَمسَحُ بَعْضَ جِراحِ الماشينَ صُعوداً

نَحْوَ الجُلْجُثَةِ

وتَمسَحُ بَعضَ جِراحاتي.

يا قيثارةَ هوميروسَ الخالدِ

شُدّيني وَتَراً من أوتارِكِ

صُبّيني نَغَماً يُفْرِحُ قلبَ العاشِقَةِ بِنِلّوبَ،

بِعودةِ عوليسَ

فإثاكا أمسَتْ ماخورَ بُغاةٍ...

ودَعيني أتَخَيَّلْ ذاكَ النَّصْرَ الغامِرَ

يأْتينا لا بِحِصانٍ خَشَبِيٍّ أثقَلَهُ الغَدْرُ

ولا بِدِماءٍ تَتَمَلْمَلُ كُلَّ صَباحٍ

تَلْعَنُ في صَمْتٍ مَنْ أهرَقَها ثَمَناً بَخْسَاً

لِإعادَةِ هيلانَةَ عن نَزْوَتِها.

لَكنْ...

يَأْتينا بِصَباحٍ يُشْرِقُ وَطَناً

لا فَوقَ الغَيمِ

ولا فَوقَ الماءِ ...

سَئِمْتُ الجَزْرَ

سَئِمْتُ المَدَّ

وبَحْراً عالي الموجِ يُقَلْقِلُني

ويُعانِدُ في صَلَفٍ مَرْساتي.

البقيعة /الجليل ٢٠١١/٥/٢٦

*الزّرعي طائر يهاجم الخضروات والفواكة وخاصّة المقاثي.

لم يزلْ ليَ بيتٌ..

لم يزلْ ليَ بيتٌ يقولُ هَلا !
فتعالَوا لآخذَ عنكم عَناءَ الطَّريقِ
وقدْ تأخُذونَ عنِ القَلبِ بعضَ الضَّجَرْ.
إنَّ بيتي صَغيرٌ-كَكُلِّ البيوتِ الفقيرةِ-
لكنْ جعلْتُ لهُ مَدخلاً يتظلَّلُ بالحُبِّ والوَردِ،
صُبحاً..
وليلاً بِهمْسِ النُّجومِ
وصمتِ القَمَرْ.
درجُ البيتِ سهلٌ فلا يُتعِبُ القلبَ
يَحْمِلُ ضَيفي الى غُرفةِ الضَّيفِ،عفواً،
الى غُرفةِ الزّائرينَ..
فَمَعْنى الضِّيافَةِ قد أكلَتْهُ الحداثَةُ مُنذُ زمانٍ غَبَرْ.
وعلى الحائطِ لوحةٌ

فإذا أوجَعتْكَ

تذكَّرْتَ أنَّكَ أنتَ الجَريحُ

وأنَّ جراحَكَ تَحملُ نَعْيَ الوطنْ.

مَطْبَخي ليسَ يخلو منَ البُنِّ والهالِ..

رائحةُ البُنِّ تنقُلُنا من فِلَسطينَ،

شوقاً

لِأرضِ اليَمَنْ.

فَتَعالَوا لِنشرَبَ قَهوَتَنا

وَنُعَدِّدَ أمجادَنا

ونعودَ فَنمسحَ أحزانَنا

لا لِنَفرحَ..

لكنْ

لِكَي يَتَجَدَّدَ فينا الرَّبيعُ

وحُبُّ الحياةِ بِهذا الوطنْ.

البقيعة/الجليل ٢٠١١/٦/٦

أم كلثوم..

صَوتُكِ..

يَخْطَفُني من عالَمِيَ المحكومِ بمَبدَإ قايينَ

ويَحْملُني فَوقَ جَناحِ البَهجَةِ

يُنسيني أنّي المَصْلوبُ على قافيةٍ

لا تسمعُ غيرَ حُداءِ الماشينَ على دَرْبِ الأحزانِ

ولا تُبْصرُ غيرَ دُموعِ الباكينْ.

قلبي يَمْضَغُهُ الحُزنُ

وعُمري جَرَفَتْهُ الأيّامُ

أُفَتِّشُ عن طفلٍ مَوْؤُودٍ في صدري

لم أجِدِ الطِّفلَ ولكنّي

أبصرْتُ خُطايَ تَحُثُّ خُطاها نَحْوَ السَّبعينْ.

أهمسُ يا وَطَني

هل حَقّاً ضاعَ العُمرُ

وما زِلْتُ على قارِعةِ الدَّرْبِ

أُمَنّي النَّفْسَ بِمصباحِ عَلاءِ الدّينْ.

تَعِبَ القلبُ

وضاقَتْ أَورِدَتي

لا مِنْ فائضِ كولستورولَ...ولكنْ

مِنْ قُرْبِ الوَطَنِ الى القَلْبِ

ومِنْ بُعْدِ الوَطَنِ عَنِ القَلْبِ

ومِنْ صَمْتِ الماشينَ على حَدِّ السِّكّينْ.

يا وَطَني....

خُذْ عنّي بَعضَ جِراحٍ

تركَتْ فِيَّ نُدوباً تحكي عن بُقْيا إنسانٍ

يجلسُ كُلَّ مساءٍ

يرشُفُ قهوتَهُ في ساعةِ صَفْوٍ
أُتركْ لي يا وَطَني ساعةَ صَفْوٍ
أَتَوَزَّعُ فيها
ما بينَ بَهاءِ الكِلْمةِ
وصَفاءِ اللّحنِ
وصَوتٍ...
يَخْطَفُني من عالَميَ المحكومِ بِمَبْدَإِ قايينْ.

البقيعة/الجليل ٢٠/٥/٢٠١٢

خُذِ الدَّمعَةَ..خُذْها....!!

لم يَأتِ غائبُنا كَمَا وَعَدّتْ تَباشيرُ الصَّباحِ

وظَلَّ أهلي يرقُبونَ الدَّرْبَ

يَرْنو بَعْضُهُمْ صَوبَ الجَنوبِ

وبَعْضُهُمْ صَوبَ الشَّمالِ

يَشُدُّهُمْ خيطٌ مِنَ الأَمَلِ الشَّفيفِ

لِعَودَةٍ

هيَ أجْمَلُ الأَحلامِ يُورِثُها الشُّيوخُ

لِصِبْيَةٍ يَتَقافَزونَ

ويَمْرَحونَ

ويَكْتُبونَ على دَفاتِرِهِمْ

وعِنْدَ مَخارِجِ الطُّرُقاتِ

منْ خِيَمِ الرَّغيفِ المُرِّ:

«إنَّا عائدونْ».

ويَمُرُّ أعداءُ الطُّفولَةِ،

يَقْرَأُونَ ويَضحَكونَ

ويَقرَأُونَ ويَعْبِسونْ.

فَلْيَعْبِسوا

إنّا على وَعْدِ الصَّباحِ بِأنَّ غائبَنا يَعودُ،

لِيَمْسَحَ الوَجَعَ المُقيمَ

ويَكْنِسَ السّاحاتِ

والطُّرُقاتِ،

مِمّا قد تَكَدَّسَ من رَطانَةِ عابِرينَ...

وعابِرينَ وفاتِحينْ.

إنّا تَعِبْنا من لُغاتِ الفاتِحينَ

فَكُلُّ مُحْتَلٍّ لهُ لُغَةٌ

فَكَمْ لُغَةً سَنُتْقِنُ كي نُتَرْجِمَ

كُلَّ جُرْحٍ مِنْ جِراحِكَ

أيُّها الوَطَنُ المُعَلَّقُ

قَبْلَ آلامِ المَسيحِ،على الصَّليبِ،

سَألْتُ:كَمْ طُنّاً مِنَ الصّابونِ،

من صابونِنا البَلَديِّ،نَصْنَعُ

كي نُزيلَ قَذارَةَ المُحْتَلِّ.....

لا أدْري!

وأدْري أنَّ لي أهْلاً يُحِبّونَ الحَياةَ

ولَمْ يزالُوا يَنْقُشونَ على سَواعِدِهم

وُشوماً عن فِلَسطينَ القَديمَةِ

والحَديثَةِ،

يَزْرَعونَ الأرضَ زَيتوناً وتيناً

يَمْلأُونَ بيوتَهم عَدَساً وقَمْحاً

يَحفَظونَ العَهدَ

فالجُدْرانُ تَحْمِلُ صورَةَ الأجدادِ

والأحْفادِ

ميراثاً يُوَرِّثُهُ الكَبيرُ الى الصَّغيرِ...

ويَفتَحونَ بُيوتَهُمْ

يَسْتَقْبِلونَ الضَّيفَ بالوَجْهِ البَشوشِ

ويَفْرُشونَ لهُ الوَسائدَ كي يكونَ مُكَرَّماً

فَإذا أُعِدَّ لهُ الفُطُورُ

يكونُ أشْهى ما تُخَزِّنُهُ المُضيفَةُ

لِلأَوانِ الصَّعْبِ،

من جُبْنٍ ومن عَسَلٍ وباذِنْجانَ مكْبوسٍ

وحُلْوِ سَفَرْجَلٍ..

أمّا العَشاءُ فَفَرْخَةٌ مَحْشُوّةٌ بالجَوزِ

واللّوزِ المُحَمَّصِ والأرُزِّ...

كَذا نُكَرِّمُ ضَيفَنا

ونُكَرِّمُ الوَطَنَ الجَميلَ بِما تَوارَثَهُ الجُدودُ

عنِ الجُدودِ الى الحَفيدِ الى الحَفيدِ

الى الحَفيدِ....

يَكْفي الثَّكالى ما ذَرَفْنَ مِنَ الدُّموعِ

فَقَدْ سَئِمْنا زَفَّةَ الشُّهَداءِ بِالوَرْدِ المُدَمّى

والنَّشيدِ

فَتَعالَ يا صُبْحَاً تَجَمَّلَ بِالوُعودِ

واقْرَأْ على الدُّنيا ملاحِمَ صَبْرِنا

واقْرَأْ نَشيدي...

هذا النَّشيدُ كَتَبْتُهُ بِوَريدي

وجَعَلْتُ حُزْني مَوْقِداً لِقَصيدي

أنا لَسْتُ راوِيَةً أَقُصُّ حِكايَةً

لكِنَّني بَرْقٌ أُعِدُّ رُعودي

لا يُخْدَعَنَّ مُغامِرٌ بِهَزائِمي

وأنا الأمينُ لِثورَتي وَرَصيدي

إنّي أَرَى أحْلامَ قومي أنْجُماً

تَمْشي على قَدَمٍ تَخُطُّ حُدودي

وأرَى بَيارِقَ تَسْتَعيدُ سَماءَها

وأرَى الوُجودَ مُتَوَّجاً بِوُجودي

طَالَ انْتِظاري واخْتَرَقْتُ ظَماءَةً

والآنَ آنَ تَجَمُّعي وَوُرودي

البقيعة/الجليل٢٠١٢/٥/٣٠

السّابعةُ والسِّتون

(سِنُّ الشَّيخوخةِ الرّسمي)

صَباحُ جديدٌ يَنِثُّ لُجَيناً على شُرْفَتي

ويُلقي الهُدوءَ عليها وِشاحا.

صَباحٌ جَميلٌ..

ويَنقُصُ عُمْرِي صَباحا.

أُحسُّ بِثِقْلِ السّنينَ-بدأْتُ أُحسُّ-

وتلكَ عَصا والدي أيقظَتْها خُطايَ الثَّقيلةُ،

صارَتْ تُحدِّقُ فِيَّ طَويلا.

وذاكرتي فَتَحَتْ بابَها الخارِجِيَّ،

فصارَ الخروجُ مُباحَاً

وأمّا الدُّخولُ فَصارَ ضَئيلا.

وعيناي لا تُبصرانِ البعيدَ

وأُذْناي لا تَسمعانِ القريبَ

وقلبي يُعاني القُصورَ

ولكنْ

يظلُّ علي العَهدِ

لا يَتَنَكَّرُ لِلْأوفياءِ

ولا يَسْتَريبُ خَليلا.

كأَنّي أرى مَلَكَ الموتِ يَفْتَحُ إضْبارَتي،

كي يُعَبِّئَ بَعْضَ التّفاصيلِ قَبْلَ اللّقاءِ

وقَبْلَ حُلولِ الظَّلامِ ثَقيلا.

كأَنّيَ أسمَعُ طَرْقَ المسامِيرِ بِالنّعْشِ-

تَحْمِلُ نَعْيي القريبَ ،

وقدْ قَرَّبَتْهُ النُّعاةُ،

بِنَعْيِ الأحِبَّةِ حَولي -شباباً وشيباً-

وليسَ غَريباً

إذا ما شَدَدْتُ الرَّحيلا.

فَبِاللهِ يا مَنْ جَعَلْتِ حياتي أقَلَّ صَقيعَاً

وأكثرَ دِفْئَاً..

ضَعي فَوقَ نَعشي قَرَنْفُلَةً من رياضِ الجليلِ

وخَلِّي الوداعَ ابتِساماً

فَوَجْهُكِ حينَ ابتِسامِكِ

يَجْعَلُ موتي جميلا.

*****

تقولُ(مُنيرَةُ)* أينَ وَصَلْتَ؟!

تَبَسَّمْتُ..

قُلْتُ:خَلَوتُ بِنَفسي قليلا.

-وماذا وَجَدْتَ

-وَجَدْتُ بِأَنّا نُحِبُّ الحياةَ

وحُبُّ الحياةِ يصيرُ بِفَقْدِ الحياةِ ذُهولا!!

(البقيعة/الجليل١٠/٦/٢٠١٢)

* زوجة الشاعر

أبو عادل..

(المرحوم أسعد كامل –ابن سُحماتا)

ذكرْتُكَ يا صديقي

يومَ لم يذْكُرْكَ أحبابٌ وخلاّنُ

فلا تَجْزَعْ إذا ضاقَتْ

وأنْتَ بِرَمْسِكَ المَغمورِ جُدرانُ

ولا تَخْشَ علينا لَعْنَةَ النِّسيانِ،

لا تَفْزَعْ

فَذِكْرى النَّكْبَةِ الكُبرى

على الأفواهِ ميراثٌ

وفي المُهَجَاتِ بُرْكانُ..

وهَلْ أنسى حديثاً كانَ يَجْمَعُنا

وَوَعْدَاً مِنْكَ أنْ تأتي

إذا ما الصَّيفُ وافانا

لِتَأْخُذَني

الى بَيتٍ طَوَتْهُ الأرضُ وَانْدَثَرا

ولكِنْ في فُؤَادِكَ ظَلَّ يَعْلو

ثُمَّ يَعْلو.. طاوَلَ الشَّجَرا

وقُلْتَ:هُناكَ في بَلَدي

سَنَجْلِسُ تَحْتَ دالِيَةٍ

ونَقْطِفُ عَنْ جَدائِلِها

عَناقيداً مِنَ الذهَبِ.

وَتينَتُنا لها جِذْرٌ

عَميقٌ في ثَرى وَطَني

وَفَرْعٌ طَيِّبُ الحَسَبِ

وَأثْمارٌ

إذا ما ذُقْتَها عادَتْ

إليكَ مَكارِمُ العَرَبِ

فَخُذْ مِنْ فَرْعِها غُصْناً

لِتَغْرِسَهُ وَتَذْكُرَني

وَتَذْكُرَ أنَّ سُحْماتا

مَدى الأيَّامِ مورِقَةٌ

وَصابِرَةٌ

على الأحْقادِ والنُّوَبِ

*****

وَجاءَ الصَّيفُ

مَرَّ الصَّيفُ...

لَمْ يأْتِ أبو عادِلْ

وَلَمْ نَذْهَبْ الى أطْلالِ قَرْيَتِهِ

وَلَمْ نَجْلِسْ على حَجَرٍ

مِنَ البيتِ الَّذي انْدَثَرا

وَلَمْ نَأْكُلْ وَلَو بَعْضَاً مِنَ التِّينِ

وَلَمْ نَقْطِفْ عَناقيداً مِنَ الذَّهَبِ

قَضى خِلِّي على حُلُمٍ يُراوِدُهُ

قَضى خِلِّي...

وَظَلَّ طَريقُ عَوْدَتِهِ

لِقَرْيَتِهِ

سَراباً بينَ أرضِ اللّهِ وَالسُّحُبِ!!

(البقيعة-الجليل 2012/7/27)

أشربُ حُزني عَلَلاً..!

(الى سليم بَرَكات)

سَأَحْمِلُ عنكَ بَعْضَ الهَمِّ،
لكنْ ليسَ قَبْلَ أوامِرِ المُحْتَلِّ
يُعْلِنُ هُدْنَةً تَقْضي بِأنْ يرتاحَ من ذَبْحي
فَقَدْ تَعِبَتْ مِنَ السّكّينِ كَفّاهُ.
فَخُذْ عَنّي،إذا صَهَلَتْ خُيولُكَ،
بَعْضَ ما تَرَكَتْ يَدُ الأَيّامِ مِنْ قارٍ على كَبِدي
ومن صَبْرٍ جميلٍ،
بِتُّ أخشى أنْ يَصيرَ الصَّبْرُ ميراثاً
يُنَكِّسُ هامَتي وَهَناً
ويَجْعَلُني على مَهَلٍ
كَسيحاً مِنْ ضَحاياهُ.

كِلانا يا صَديقي ضاقَ بالغَيمِ الكَذوبِ
يَصُدُّ عَنّا الشَّمْسَ
دونَ رَذاذَةٍ تُحْيي بَنَفْسَجَةً،
وحُلْمَاً ضاعَ في ليلٍ،
وفي دَمْعٍ على وَطَنٍ ذَرَفْناهُ.
فَوا حَزَني..!
وَقَدْ كانَتْ بَنادِقُنا وسائِدَنا
وقد كانَتْ وسائِدَكُم ظُهورُ الخيلِ،
صِرْنا اليومَ بَنداً
في أجِنْدَةِ فاتحينَ
تَحَشَّدوا زُمَراً
وسَدُّوا نافِذاتِ الرِّيحِ
كَيلا تَحْمِلَ الرِّيحُ الأنينَ،
فيوقِدَ النّارَ المُقَدَّسةَ انتِصاراً
لِلْحَياةِ أوِالحَياةِ،ولا بَديلَ سِوى الحياةِ،

لِشاعِرٍ يَطْفو على ثَبَجٍ مِنَ اليَأْسِ.
فَعُذْراً يا عَزيزَ الشِّعْرِ إن لَمْ أُلْقِ مَرساتي
عَلى شَطٍّ مِنَ الأمَلِ
فَبينَ جِبالِ كُرْدِستانَ والقُدْسِ
مُعَلَّقَةٌ قصائدُنا
وَكُنَّا قدْ كَتَبْناها على الرِّيحِ
نشيدَاً كادَ ينسانا
وننساهُ

*****

لِنذْرِفْ يا صَديقي دَمعَةً حَرَّى
على طَلَلٍ بَكَيناهُ
ونَذْرِفْ دَمْعَةً أُخرى
على وَطَنٍ رَثَيناهُ
ونَبْصُقْ فوقَ خارِطَةٍ
إذا حَضَنَتْ بِلادَ الأرْضِ إلاّهُ!!

(البقيعة- الجليل 2012/11/1)

أما زالَ يُخْجِلُكَ المَدْحُ.....!؟

(الى روح نوّاف عبد حسن)

لماذا إذا يا صَديقي فَتَحْتُ كِتاباً

أراكَ تُطِلُّ عَلَيَّ،

وتَبْسِمُ..

ثُمَّ قليلاً قَليلاً تَغيبُ بَياضاً

مَعَ الصَّفْحَةِ التَّالِيَهْ!؟

لماذا إذا زُرْتُ مَعْرِضَ كُتْبٍ-

إذا زُرْتُ مَكْتَبَةً ذاتَ يومٍ

أراكَ تَهَشُّ بِوَجْهٍ صَبيحٍ

وتَهْمِسُ لي:هَهُنا يا صَديقي يَطيبُ اللّقاءُ

فَإنْ طَحَنَتْكَ الحياةُ

وشَحَّ الصَّديقُ الوَفِيُّ

تَجِدْهَهُنا العيشَةَ الرَّاضِيَهْ.

تُحِبُّ فِلَسطينَ...أَدْري..

وأَذْكُرُ أَنَّكَ كُنْتَ تُدَبِّجُ فيها الكَلامَ الجميلَ

-وكَنْعانُ* تَشْهَدُ-،

كُنْتَ الخِطابَ النَّبيلَ

بَعيداً..بَعيداً عَنِ النَّبْرَةِ العالِيَهْ.

لَكَمْ كُنْتَ تَكْفُرُ بِالعائِمينَ على شِبْرِ ماءٍ

وتُؤْمِنُ أَنَّ رُكوبَ اللِّجاجِ،

يقودُ الى مَرْفَإٍ خَلْفَ ذاكَ السَّرابِ المُعانِدِ،

رَغْمَ المسافاتِ

والمَوْجَةِ العاتِيَهْ.

صَديقي...

رَحَلْتَ وكانَ رَحيلُكَ قَبْلَ الأَوانِ

فَلا أَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ مُعْجَمِ الذِكْرَياتِ

ولا نَحْنُ نَنْسى فَتَىً يَعْرُبِيَّ اللِّسانِ

نَقِيَّ الجَنانِ

يُصافِحُ بِالقَلْبِ،

والرَّاحَتَيْنِ...

كَأَنِّي بِهِ يَسْبُكُ الرُّوحَ أَيقونَةً،

تَحْرُسُ الدَّرْبَ لِلْعابِرينَ الى عالَمٍ،

يَجْمَعُ الحُبُّ أَطْرافَهُ النَّائِيَهْ.

صَديقي...

أَما زالَ يُخْجِلُكَ المَدْحُ!؟لا بَأْسَ..لَكِنْ

تُرى ما عَساكَ تَقولُ إذا ما دَعاكَ الوَفاءُ،

لِذِكْرى صَديقٍ نَبيلٍ

وِطاعَ لَكَ البَحْرُ والقافِيَهْ...!؟

* - كنعان - مجلة وطنية صدرت عن مركز إحياء التراث العربي
وكان المرحوم مدير تحريرها

(البقيعة-الجليل 2012/12/30)

قَدْ يَبْدُو المَشْهَدُ عَادِيَّاً...!

وَقَفَ وَحيداً-بِالقيدِ وَحيداً-
يَنظُرُ نَحْوَ الأُفْقِ الوَردِيِّ
لَعَلَّ الأُفْقَ يُحيلُ الغُمَّةَ
حُلُمَاً وَرْدِيَّ الأَبعادِ
وعَلَّ الشَّعْرَ الأَصهَبَ
فَوقَ العَينينِ الحالِمَتَينِ
سَيَجْذِبُ أُنْثى لا بُدَّ تَمُرُّ
فَهذا الدَّرْبُ يَقودُ الى سُهُبٍ خَضْراءَ
وغاباتٍ تَغْسِلُ قَلْبَ المُتْعَبِ
مِنْ وَجَعِ التَّكنيكِ اليَومِيِّ
ونَصْلِ المُدْيَةِ...آهٍ...

كُنْتُ أَمُرُّ،

وكانَ وَحيداً يَنْظُرُ نَحْوَ اللامَرْئِيِّ

وكانَ المَرْئِيُّ يَشُدُّ خُطايَ،

بَعيداً عن ذاكَ الواقِفِ يَنْظُرُ نَحْوَ الأُفْقِ الوَرْدِيِّ

ويَحْلُمُ بِسُهوبٍ خَضْراءَ

وأُنْثى...

وأَنا العَبْدُ المُفْتَقِرُ لِرَحْمَةِ رَبي

أَتَعَثَّرُ بِالحُزْنِ

وبِالضَّعْفِ البَشَرِيِّ...

سَأَلْتُ:لِماذا المُدْيَةُ سَيِّدَةُ المَوقِفِ

مُذْ قايينَ وهابيلَ...؟!

يَضيقُ العُمْرُ

ويَتَّسِعُ الحُلْمُ ويَمْتَدُّ

فَتَصْرُخُ نَبَضاتُ القَلْبِ:الرِّفْقَ...الرِّفْقَ..!!

العَدْلَ...العَدْلَ..!!

فَهذا الكَونُ المَرسومُ بِريشَةِ أَعْظَمِ فَنَّانٍ-

هذي اللَّوحَةُ

ما ضَرَّ لَوَ انَّ الحُسْنَ يُؤَطِّرُها

مِنْ غَيرِ مَساحاتٍ يَغْسِلُها الدَّمّ.

***

كانَ الصُّبْحُ جَميلاً حينَ مَرَرْتُ بِذاكَ الحالِمِ

لكِنَّ المَشْهدَ شَلْشَلَ بِالحُزْنِ الجارِفِ

أَطْرافَ الصُّبْحْ.

كانَ الصُّبْحُ جَميلاً

والمَشْهَدُ قَدْ يَبْدو عادِيّاً

بَلْ عادِيّاً جِدّاً..

لَو لَمْ يَكُنِ الحالِمُ ثَوراً مِسْكيناً يَقِفُ أَمامَ المَسْلَخِ

والجَزّارُ يُعِدُّ على مَهَلٍ أَدَواتِ الذَّبْحْ!!!

(البقيعة-الجليل 2013/1/18)

هل تركْتَ لنا أجِنْدَتَك.....!؟
شُكْراً

في رِثاء نمر مُرْقس

(....ولَئِنْ آسَفْ على شَيءٍ فَعَلى أنَّ قُدُراتي
لم تُتِحْ لي أنْ أعْطِيَ أكْثَرَ.....)...(نمر مُرْقس)

تَساءَلْتُ حينَ وَقَفْتُ أمامَكَ،
والصَّبْرُ يَسْتَبْطِئُ الصَّبْرَ
كيفَ غزاكَ الصَّقيعُ
وأنتَ الرَّبيعُ
تُوَزِّعُ دِفْئَكَ بينَ رُفوفِ اليَمامِ
لِتَبْني العِشاشَ،
وتَحْضُنَ أفْراخَها الواعِدَهْ.
وقُلْتُ:لَعَلَّ المُعَلِّمَ يَبْغي المُزاحَ

فَأَغْمَضَ عينَيهِ طَوعَاً

لِيَلْعَبَ دَورَ المُسَجَّى على دَكَّةِ المَوتِ

في مَسْرَحِيَّةِ هَزْلٍ

يُخَرِّجُها الوَقتُ كيفَ يَشاءُ

وحينَ يَشاءُ..

وأَعْلَمُ أَنَّ المُعَلِّمَ لَنْ يُتْقِنَ الدَّورَ

أَو يَسْتَطيبَ المُزاحَ

فَفي الصَّدْرِقَلْبٌ عَليلٌ

ودَرْبُ الحُفاةِ طَويلٌ...طَويلٌ

وَجَنَّةُ أَهْلِ الشَّقاءِ

لَها أَلْفُ بابٍ وَبابٍ

وَلَكِنَّها موصَدَهْ.

***

ثَقيلٌ هُوَ الحِمْلُ مِنْ دونِ زَنْدَيكَ

والدَّرْبُ وَعْرٌ،

ومِنْ دونِ صَمْتِكَ/صَبْرِكَ

يَقْتُلُنا الرَّكْضُ خَلْفَ سَرابِ الأَمانِيِّ..

فَاتْرُكْ لَنا بَعْضَ حَدْسِكَ

كَي نَسْتَشِفَّ خَفايا البَعيدِ

وأَبْقِ لنا ظِلَّ سَبَّابَةٍ

لا تُشيرُ الى نَجْمَةٍ في السَّماءِ

ولَكِنْ..

الى صَرَخاتِ الجِياعِ

وبُعْدِ المَسافَةِ بينَ الحُلولِ العَقيمَةِ

والقاعِدَهْ.

***

فَيا مَنْ تَلَفَّعْتَ بِالنُّورِ عِنْدَ الرَّحيلِ

تَقَبَّلْ مَحَبَّتَنا والوَفاءَ

وسافِرْ على فَرْشَةٍ مِنْ هَديلِ الحَمامْ.

ولَيتَكَ تَفْتَحُ عَينَيكَ،في لَحْظَةِ خارِجَ المُسْتَحيلِ،

لِكَي أَتَهَجَّأَ دَرْسي الأَخيرَ أَمامَكَ

في البْروليتاريا

وفي واقِعِيَّةِ غُورْكي

وفي شِعْرِ لُورْكا

ومَجنونِ إلْزَا

ووَشْمِ جيفارا على أَذْرُعِ الفِتْيَةِ النَّاشِئينْ.

وفي شَدْوِ فَيروزَ تَسْتَعْجِلُ الفَجْرَ،

في زَقْزَقاتِ البَلابَلِ نَشْوى

على غُصْنِ زَيتونَةٍ قَدْ غَرَسْتَ،

لِأَحْفادِكَ القادِمينْ

وفي سِفْرِ أَيُّوبَ يُسْتَقْرَأُ النَّصْرُ

لِلْإِخْوَةِ العائِدينْ.

وفي ابنِ خَلدونَ

في هَبَّةِ الزَّنْجِ

في دَمْدَماتِ الغِفارِيِّ..

في الشَّعبِ-في فَرْزِهِ الطَّبَقِيِّ...عَفْواً..

وعَفْواً..إذا ما اخْتَصَرْتُ الكَلامْ

فَهَلْ أَستَطيعُ اختزالَ مَسيرَةِ شَعْبٍ

بِبِضْعِ ثَوانٍ!؟

إذاً سَوفَ أَجْمَعُ ماءَ المُحيطاتِ

في جَرَّةٍ واحِدَهْ.

***

وإنْ كانَ لا بُدَّ مِنْ قُبْلَةٍ لِلْوَداعِ

سَأَجْعَلُ هذا الوَداعَ بِدونِ دُموعٍ

بِلا نَظْرَةٍ شارِدَهْ.

عَزائِي سُؤَالٌ،وقَدْ يُرْبِكُ المَوتَ،

إذْ عِشْتَ ما عِشْتَ

يا عُرْوَةَ الكادِحينَ

تُقَسِّمُ رُوحَكَ بينَ الجُموعِ

فَهَلْ يا مُعَلِّمُ حينَ يُغَيِّبُكَ الوَقْتُ

يُحْسَبُ ذاكَ الغِيابُ مَماتاً؟!

فَبِاللّهِ كَيفَ.....!!

وَروحُكَ تَسْري رُواءً

بِأَعْراقِ أُمَّتِنا الماجِدَهْ....!؟

(البُقَيعة/الجليل ٢٠١٣/٢/٥)

أيُزْعِجُكَ النَّبْشُ في الذّاكِرَة.....!؟

(الى روح شكيب جهشان)

تَدورُ بِنا الأَرضُ ..

نَخْلَعُ عَنّا المَعاطِفَ،

نَسْتَقْبِلُ الزَّهْرَ والطَّيرَ،

تَحلو العَناقيدُ..

يَصْفَرُّ وَجْهُ الحديقَةِ،

تَعرى الغُصونُ...

وَتَكْتَمِلُ الدّائِرَهْ.

تَدورُ بِنا الأَرْضُ،

تَأخُذُنا نَشوَةُ الغارِقينَ بِعِشْقِ الحَياةِ

فَنَلهو

وَنَنْسى بِأَنّا نَدورُ

وَنَصْحو

لِنُدْرِكَ أَنّا بقايا حُروفٍ على شاهِداتِ قُبورِ

وأَنّا نَمُرُّ كَخَيطِ دُخانٍ

على بُؤْبُؤِ العَينِ والذّاكِرَهْ.

لَكَ الوُدُّ يا فارِساً أثْقَلَ القَلْبَ بِالوُدِّ

والرّوحَ بِالعِزَّةِ النّافِرهْ.

أراكَ تَعودُ الينا صَبِيّاً بَهِيّاً

على صَهْوَةِ الحِجَّةِ العاشِرَهْ.

وكُنْتَ لنا سَيِّدَ القَولِ والفِعْلِ،

إنّي أراكَ تُنَقِّلُ خَطْوَكَ بينَ المَقاعِدِ

حيثُ تَمُرُّ على سيبَوَيهِ

وتوغِلُ في البُعْدِ،

تَلْقى امْرَأَ القَيسِ يَحْرُسُ دارَةَ جُلْجُلْ.

تَمُرُّ لِتُلْقي السَّلامَ على عُرْوَةَ الوَرْدِ ،

وابْنِ نُوَيرَةَ يَبْكي أخاهُ

وتوغِلُ ..توغِلُ..ثُمَّ تَعودُ

فَنَقْرَأُ بينَ سطورِكَ حُبَّ العُروبَةِ،

والنَّاصِرِيَّةِ،

نَقْرَأُ..نَقْرَأُ...

نَغْرَقُ حُبّاً لِبَغْدادَ،

حُبّاً لِبَيروتَ والشَّامِ والقاهِرهْ.

أنا كُنْتُ أُصْغي

وأكْتُبُ ما كُنْتَ تَرْوي

وكانَ (بْرَهيمُ)* يُلَقِّطُ عن راحَتَيكَ الطَّرائفَ،

يا صاحِبَ النُّكْتَةِ الحاضِرَهْ.

وكانَ (نَبيهٌ)* يَمُدُّ الى الأُفْقِ كَفّاً

وكَفّاً يَمُدُّ الى الضّادِ،

والجُمْلَةِ النّاضِرَهْ.

و(صَبْري)* أما زالَ يَجْمَعُ بينَ الجَمالِ

وحُلْوِ الخِصالِ..

يَقولونَ:صَبْري طَبيبٌ يُداوي القُلوبَ

ويَحْيا كَنَسْرٍ يُحَلِّقُ فَوقَ جَمالِ(سِوِسْرا)

ولكِنْ

تَظَلُّ تُراوِدُهُ جَنَّةٌ غابِرَهْ.

و(إدوارُ)* ماذا دَهاهُ!؟

فَضاقَ بِأَرْضِ اليَبابِ

وطارَ الى ضَيعَةٍ في السَّماءِ

الى دورِها العامِرَهْ.

صَعاليكَ كُنّا-وأَنْتَ تُحِبُّ الصَّعاليكَ-،

كُنّا جِياعاً

وكُنْتَ المَعَرِّيَّ تَنْثُرُ فينا بُذورَ التَّمَرُّدِ

والفِكْرِ،

والجُمْلَةِ الباتِرهْ.

أيُزْعِجُكَ النَّبْشُ في كَومَةِ الذِّكْرَياتِ..تَساءَلتُ ..عَفْواً !

دعاني الزَّمانُ الجَميلُ

وأنْعَشَ روحاً تُعيدُ الى الرّوحِ آمالَهاالزّاهِرَهْ.

وعُذْري بِأَنَّكَ عَيناً تَظَلُّ

على دَرْبِنا ساهِرَهْ.

*

كَأَنّي سَمِعْتُكَ تَسْأَلُ.....

ماذا....؟....فِلَسطينُ.....ماذا...؟

لِماذا....؟.....أجَلْ

هوَ المِلْحُ ما زالَ في العَينِ

والرُّمْحُ ما زالَ في الخاصِرَهْ.

* الاستاذ إبراهيم أسدي ، الأديب نبيه القاسم، الدكتور صبري حنا، الصحفي الكاتب إدوار الياس زملاء الدراسة للشاعر وتلاميذ المربي الشاعر شكيب جهشان

البُقَيعَة/الجليل/٢٠١٣/٧/٩

صدر للشّاعِر

■ وطني يَنْـزفُ حُبّاً - شِعر - الأَسوار / عكّا ١٩٧٨ .

■ وَطَني رُدَّني إلى رُباكَ شَهيداً - قِصص - الأَسوار / عكّا ١٩٨١.

■ أَموتُ قابِضاً حَجَراً - شِعر - الأَسوار / عكّا ١٩٨٦ .

■ تَمْتَمات آخر اللّيْل - شِعر - الأَسوار / عكّا ١٩٨٨ .

■ قابِضونَ على الجَمْر - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩١ .

■ حَديثُ الحَواسّ - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٢ .

■ عَوض يَستَرِدُّ صِباه - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٣ .

■ أَنْتِ سَبِيَّتُهُم وَشِعْري نَحيبُ العاجِز - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٣ .

■ ليسَ في الحَقْلِ سَوْسَنٌ لِلفَرَح - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٥ .

■ الحُبُّ أَوّلاً - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٥ .

■ فَرحٌ يابِسٌ تَحْتَ لِساني - شِعر - إصدار خاصّ ١٩٩٦ .

■ على سريرٍ أبيض - نَصّ - الأَسوار / عكّا ١٩٩٨ .

■ أنا هُوَ الشّاهِد - شِعر - الأَسوار / عكّا ٢٠٠١ .

■ تَضيقُ الخَيْمَةُ يَتَّسِعُ القَلب - شِعر - الأَسوار / عكّا ٢٠٠٧ .

■ الكِتابان - شِعر - الأَسوار / عكّا ٢٠٠٧ .

■ أخذتني القوافي - شِعر - مطبعة «الحقيقة» ٢٠١٣ .

الفهرس

لا، لست حزينا ... ولكن!!	٣
من حضن حوريّة إلى ذراعيّ مينيرفا	٧
آريس لا يحب القتلة!	١٨
مشهد تلفزيونيّ	٢٧
هنا يستريح الجمال	٣٢
سأجعل من حبّه رقية	٣٥
سأشكر	٣٧
صباحي جميل	٤٠
وشوشات فيفالدي	٤٣
ترى ..هل ترجّلت قبل الأوان؟!	٥٣
حزينا أسير ..	٥٦
أنا أنت	٥٩
هذا العالم ليس بريئا	٦٢
لم يزل لي بيت	٦٨
أم كلثوم	٧٠
خذ الدّمعة .. خذها	٧٣
السّابعة والسّتّون	٧٩
أبو عادل ..	٨٢
أشرب حزني عللا ..	٨٦
أما زال يخجلك المدح .. ؟!	٨٩
قد يبدو المشهد عاديًا	٩٢
هل تركت لنا أجندتك ؟ .... شكرا	٩٥
أيُزْعِجُكَ النَّبْشُ في الذّاكِرَة	١٠٢

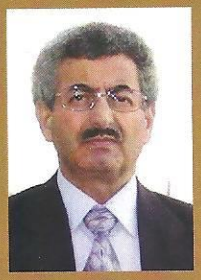

أموتُ ..
وَعيناي شاخِصَتانِ إلى شارِعِ الرَّفْضِ
روحي إلى طَلَّةِ الشَّمْسِ تَهْفو
وَجرحي ينادي :
دعوا بَسمتي فَوقَ وَجهي
لعلّي أعود مع الفجر
يوم انتصار الجياعِ
ويومَ يكون هديرُ الجموع ،
لبعد المسافات زاخرا ساخطا.